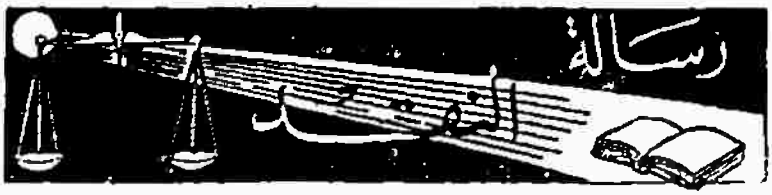

القضايا الكبرى في الإسلام

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

للدكتور زكي المحاسني

سألت وأنا أجول في صحن الجامع الأزهر عن الشيخ الصعيدي . قلت لعلي أجده تحت رواق من الأروقة التي علت ، فأطلت . فدللت على مكانه البعيد ، لا في الصعيد . ولكن في كلية اللغة العربية . وكنت أذكر أن أحد عشاق الأسفار من الغربيين كان يقول : من زار باريس فليكتف منها بأن يرى برج إيفل والسيو أندريه تارديو . وقد مر بالخاطر هذا القول وأنا أبحث في مصر عن الأزهري الذي رأيته كثيراً قبل أن أراه .

كنت وأنا أجوس خلال الصحن أتمثل حلقات الدرس التي لم يبق منها إلا الفلول ، فلقد انتقل التعليم من فناء الأزهر فوق الحصير إلى أبنية شيدت بحديد يجلس فيها التلاميذ أهل العمائم والجبب على مقاعد مرصوفة كالتي في المعاهد المتحضرة . ثم لا ضير عليهم أن يبدأوا علم الأزهر مع حفظ الكافية والأجرومية بشيء من الفرنسية والانكليزية ، وأن يؤلفوا بين الفقه والأصول بضرب من الكيمياء والكهرباء .

وقد لقيت الشيخ بعد لأي في دار من دور الطباعة فأذكرني لقاؤه بموعظة نطق بها ابن المقفع وهي قوله : لا يجمل بالمرء أن يرى إلا مع النساك متعبداً أو مع العلماء جاهداً . وقد لقيت هذا العالم الأزهري العظيم حيث يجمل أن يكون اللقاء بمثله .

بدا طوالا عريض المنكبين متسق الوجه . ولو أن للمعرفة أشعة لحسبتها تتلألأ في عينيه . واليوم وأنا أتحدث عن كتاب من أجل كتبه وهو القضايا الكبرى في الإسلام أعيد للبال سمته الجليل ومنظره الكريم خافقاً بعمامة وجبة يستدير عنقه فوق جلباب نق سابغ .

والقضايا الكبرى اسم مر على أسلات الأقلام المعاصرة ، فألف في بابه الأستاذ محمد عبد الله عنان كتاباً اسمه قضايا التاريخ الكبرى ، جمع فيه كبريات من الحوادث في الشرق والغرب . وكلا المصريين نال الساعة المؤلفون الغربيون فقد ألف نقيب المحامين الفرنسيين الغابر « هنري روبير » كتاباً بهذا الاسم . وفي فرنسة مكتبة حقوقية أصدرت مجموعة سنوية كبرى تسمى قضايا العالم الكبرى Les grands procés de l'année

أما كتاب القضايا الكبرى في الإسلام الذي أنا بسبيله في هذا الحديث فهو للاستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي . ويمتاز هذا العلامة من زملائه الأعلام الأزهريين بأنه يجمع العلم الديني إلى الأدب الإنساني . فقد أذكر أن له رسالة قديمة كتبها في أبي العتاهية الشاعر العالمي درس فيها حياته وشعره ، كما نشر ديوان الهاشميات لشاعر المصر الروائي الكميت بن زيد الأسدي بتحقيق دقيق ، ورأي رصين .

وكتابه عن القضايا الكبرى في الإسلام يبدأ بعصر الرسول فيصور مؤمرات المنافقين ، وقذف عائشة ، وطلاق زينب ، ويتحدث عن مجرى الحرب في فتح مكة . وإذا هزني حديث الإفك فجعلت أتململ على مثل النار لما اعترى عائشة من الحزن يوم ذاك ، فإني ليهزني ذكر الخوارج الصلاب الشداد ، وقد وقفوا يوم التحكيم مثل أسود لا تخدعها الثعالب ، فراحوا يهتفون : لا حكم إلا لله . حتى إذا انحدرت في قراءة هذا الكتاب إلى عصر بني أمية والروائيين راعني مقتل سعيد بن جبير . إذ يعرضه الأستاذ المؤلف في صورة مسرحية رائعة . وقبل أن أقرأ كتاب الأستاذ الصعيدي أذهب مذهباً يخالفه في أمر سعيد بن جبير ، فإن قتل الحجاج كان لا يزال يعاود خيالي فأتصوره وقد قتل أزهد عالم في الإسلام ، وأوعى فقيه من التابعين لعلوم الدين . ثم أتصور هيوبه من نومه فزعاً مرتاعاً يصيح في خدمه وحشمه في قطع من الليل منهر الأنفاس ، يخيف الحراس فيقول صائحاً :

ـ لقد رأيت في المنام ابن جبير يقول لي : كيف قتلتني يا حجاج ، وكأنه كان يأخذ بعنق ليخنقني .

لكن المؤلف مد بيانه ، وبرهانه ، إلى رأي فبدل ما كنت أذهب إليه من مذاهب في شأن ابن جبير ، فلقد أفسدت السياسة علم هذا الحنيف . كان والياً على عطاء الجند سنة ثمانين من الهجرة في جيش جهزه الحجاج لغزو رتبيل ملك الترك مما وراء النهر بعد فارس . وولى عليه عبد الرحمن بن الأشعث الكندي . فلما توغل

عبد الرحمن فى البلاد وطاع له العباد اجتراً على الحجاج فخلع طاعته وظاهره على ذلك ابن جبير ، وكان ابن الأشعث الكندى خوانا حين ارتد على المسلمين بقاتلهم ويشد عضد أعدائهم يوم الفتح . وقد جرت حروب بين ابن الأشعث والحجاج أزهقت من المسلمين نفوساً كثيرة لو صرفها أصحابها إلى الفتوح لأوغلوا فى البلاد . وانتهت هذه الحروب بظفر الحجاج ، فأمكنه الله من سعيد بن جبير بعد أن نقض العهد وبايع ابن الأشعث ، فقتله بعد أن حاكمه ، وكان خصمه وحكمه .

ويختم المؤلف على العصر الأموى بحاتم البحث ، ليفتح باب العصر العباسى على مصراعيه كما يفتح باب المحكمة عن بهوها الكبير وحكامها الجبابرة ، فأدخل متفرجاً على القضايا العباسية الكبرى .

وكنت أوثر الأدب ، فيجتذبنى بشار بن برد إلى قضيته ، فأشهد محاكمته مع الزنادقة فى عهد الخليفة المهدى .

وقد كان المؤلف أشبه عندى بالمدعى العام ، يصور للمحكمة جرم المتهمين حسب رأيه ووفق نظريته ، ثم يحملهم على غوارب الحكم حملا . وههنا لم يجتذبنى المؤلف ولم يغير من رأيى فى مقتل بشار فلقد راح يجمع النصوص من شعر بشار ، وأخبار الزنادقة وشرطة الملحدين الذين كانوا مكلفين بالتتبع يحملون أخبار العقول والألسنة إلى الخليفة ، وقد صنع المؤلف كل ذلك ليهيء الحكم على الشاعر بأنه قتل من أجل هجائه وفحشه أو بسبب زندقته وإلحاده . والصحيح عندى أن الذى قتل بشاراً السياسة . فقد استبد الوزير يعقوب بن داود بالحكم دون المهدى . وكان بشار من الأحرار لم يستعبده أدبه فما تملق الخلافة ولا ذل للسلطان وكان شعبياً يؤثر أن ينفخ فى الأمة بوق الثورة من أجل حياة أسمى . فكان من قوله :

بنى أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

كذلك أخطأ التاريخ ، وظن المؤرخون ووهموا . فقتل عندهم بشار بن برد من أجل الزندقة والفحشاء . وقتل عندى من أجل السياسة والثورة . لقد كان طيب الفؤاد فلم يهج غير من استحق الهجاء . ظلمه مجتمعه فنقم لنفسه من ذلك المجتمع الظالم ومن مس العقرب لسعته إبرتها . بذلك نفى الحق بين الأنام . لقد وجد ناس فى أسقاط بشار بعد موته هذه الكلمة النبيلة :

— إنى أردت هجاء آل سليمان بن على لبخلهم ، فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسكت إجلالا له . على أنه فرط منه هجاء لآل سليمان — والظاهر أنه كان فيه مترفقاً بهم من أجل تلك القرابة فقال فيهم .

دينار آل سليمان ودرهمهم كالبابليين حفا بالمقاريت
لا يبصران ولا يرجى لقاؤهما كما سمت بهاروت وماروت

ومن القضايا الكبرى فى هذا الكتاب قضية خلق القرآن وما جرت من الفتن وضرب الرقاب ، وفتنة الحلاج وكنت أبحث فى كتابه عن قضية سيبويه والكسائى فلم أجده قد ذكرها . وكانت منه أملوحة لو أضافها فى كتابه وجلاها فى تصويره الفنى .

ثم مضى المؤلف فى ذكر القضايا من كبريات الحدثان فى الأندلس وعهد الدولة العثمانية حتى إذا بلغ عصرنا الحديث حط الرحال على كتاب الدكتور طه حسين فى الشعر الجاهلى يوم قامت قيامة القوم على عبقرى الشرق الذى أخرج الأدب من سجن الأزهر إلى مقاعد الجامعة .

* * *

كذلك طوفت فى قصر العدالة الاسلامية الذى بناه الشيخ عبد المتعال الصعيدى الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وصوره فى كتابه . فتنقلت فيه من حجرة إلى حجرة أشهد المحاكمات ، وأسمع المرافعات فأحن إلى ماض أفل عنى وكنت فيه من المحامين ، ذاكراً طلعة الأزهرى الحكيم الذى زانه العلم ، وجمله الأدب ، وحلاه التواضع .

زكى المحاسنى

بائع الحب

كتاب روسانه عبر القدوس

للاستاذ أحمد قاسم أحمد

قرأت الكتاب الأول — صانع الحب — للأستاذ إحسان عبد القدوس وقضيت فى قراءته وقتا لم أرد أن أقضيه فى جد ...

وما كنت أعتقد حينذاك بأنه كتب للأدب ... ! لقد قرأته على أنه صور - كما يجب أن يسمى إنتاجه - تستطيع أن تسمها بما تريد ... إلا بالأدب ... ووقع بين يدى كتابه الثانى - بائع الحب - وأجلت نظرى فى مقدمته فاستوقفنى دهشا حائرا قول الكاتب: « وقد سبق أن أصدرت مجموعة من هذه الصور بعنوان «صانع الحب» فأثارت ضجة أدبية على صفحات الصحف، وهى ضجة تقوم كلما حاول الأدب العربى ان يخطو خطوة إلى الأمام ... » إذن فالأستاذ إحسان قد أخرج كتابيه لا كإنتاج أدبى رفيع فحسب، بل كخطوة يخطوها الأدب إلى الأمام ... وما كنا نعلم أن نهضة الأدب تكون على راح تلك الصور الواهية المبتذلة، التى لا تجيد إلا وصف الشفاه الداعية فى نهم، والنهود البارزة فى ثورة، والأجسام المغرية فى إلحاح ... ! فإن أصر الأستاذ على ادعائه فإنا نقول له . إنك فى ذلك مسبوق لا سابق، والذى سبقك هو ذلك الشاعر الذى تهكمت به وبشعره فى مقدمة « صورك » هو أمرؤ القيس فإنك لم تزد على أن شرحت قوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم محول

وقوله :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل
خرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

بطريقتك الخاصة فى القرن العشرين ... !

و « بائع الحب » لا ينتقد ! لأن النقد يرتفع فى حالتين :

الأولى : أن يتسنم الأدب ذروة الروعة والكمال، فيتقاصر دونه النقد.

والثانية : أن يهبط إلى مهار عميقة من السخف والتبذل، فيتعفف النقد أن يلاحقه فى أغواره ... !

ويستطيع القارىء - طبعا - أن يعرف لماذا لا ينتقد « بائع الحب » المسكين ... !

وأحب أن أقول للكاتب الفاضل إن الأدب متعة الروح، لا متعة الجسد، وغذاء الألباب الناضجة، لا الحيوانية المنحطة، وإن مصير صوره كمصير غانياته اللاتى يلقى بهن إلى عرض الطريق بعد أن يقضى منهن وطرا . فان القارىء لن يعود إلى قراءة صورة منها لأن المتعة الخالدة معدومة فيها، ولأن جدتها قد بليت، وخمدت أنفاسها إلى الأبد، بل تطايرت فى الهواء مع نفثات لفافات تارئيها ... !!

وأحب أن أقول له أيضا : إن الصحافة أجدى عليه من الأدب، وإنه ليس أشقى من الأدب، وعزاؤه أنه يعمل لوجه الفن الخالد

ويذكر الأستاذ فى إحدى صوره أنه انهال على صاحبته لطما وضربا ولعن آباءها وأجدادها باللغة العربية ... وإنى لأرجو أن يذكر أنه - بكتابيه - قد مثل نفس الدور مع الأدب العربى.! وأن يذكر أيضا أننا نستطيع أن نعتبره صحفيا ناجحا ولا نستطيع أن نعتبره أديبا ولو تابت صاحبته الصهيونية ... !)

احمد قاسم احمد

وزارة العدل

تعلن عن فقد أصول وصور قسائم التحصيل استمارة رقم ١٥٥ ع . ح التى تبدأ من ٧١٠٥٨٩ إلى ٧١٠٦٠٠ بيضاء بدون استعمال من محكمة الجنائية الشرعية . وقد اعتبرت الوزارة القسائم المذكورة وصورها ملغاة . فكل من تعرض عليه أو عثر عليها بأى الطرق أن يعلم بأنها لا قيمة لها وأن استعمالها يعد تزويرا ويعرض مستعمله للمحاكمة الجنائية ١٩ - ٤ - ١٩٥٠ ٤٨٠١